القضية الصحراوية وحق الشعوب في تقرير المصير

مقدمة:

تعتبر القضية الصحراوية من قضايا تصفية الاستعمار التي تم تسجيلها عام 1963 في اللوائح الأممية، كما تعتبر أيضا منطقة كانت خاضعة للانتداب الإسباني، وبعد خروج الطرف الاسباني منها عام 1975 ترك هذا الانتداب وصاية أخرى على الصحراء الغربية لصالح المملكة المغربية التي دخلت منذ تلك الفترة الزمنية في حرب مسلحة مع جبهة البوليزاريو، ويقصد بهذه التسمية الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب باللغة الإسبانية إلى غاية 1991، أين وضعت الحرب أوزارها ودخل الطرفان في مفاوضات سياسية إلى يومنا هذا من أجل تقرير مصير الشعب الصحراوي.

الجغرافيا السياسية للصحراء الغربية:

الموقع الجغرافي: تقع الصحراء الغربية في شمال غرب إفريقيا ، تحدها من الشمال الشرقي الجزائر ، و من الشرق و الجنوب موريتانيا ، و المحيط الأطلسي من الغرب ، و المغرب من الشمال.

المساحة:

تبلغ مساحتها288 ألف كم ^{2} ، و تنقسم إلى قسمين: قسم شمالي يدعى الساقية الحمراء و مساحته 92 ألف كم ^{2} و قسم جنوبي يسمى بوادي الذهب REO DE ORO و مساحته 196 ألف كم^2[1]

العاصمة:

هي العيون و تقع في أقصى شمال ، و اهم منها هي : سمارا الواقعة في القسم الشمالي و عدد سكانها 9 ألاف نسمة و دانلا شفيروس سابقا اسبانيا الواقعة في القسم الجنوبي و يقطنها 7 آلاف نسمة ، و هناك حائط مغربي ضخم للحماية من هجمات البوليزاريو يفصل شمال الإقليم عن جنوبه (بعيش في جزئه الشمالي 220الف نسمة و 120الف عسكري)

اللغات :

[1] انترنت: الموسوعة الحرة ويكيبيديا http:ar.wikipidia.org

اللغة العربية بصفة أساسية ثم تليها اللغة الاسبانية بدرجة اقل.

السكان:

يشير إحصاء 1976 الى ان تعدادهم هو 76487 نسمة، أما سنة 1989 فقد بلغ عددهم 170الف نسمة أما آخر الإحصائيات لسنة 2003 فتشير بالى أن عددهم هو 261174 نسمة أما البوليزاريو فهي تحدد العدد بحوالي مليون نسمة ، و السكان جميعهم يدينون بالإسلام أما عن أصل السكان او السكان الأصليين للصحراء الغربية فيبقى محل خلاف في الوقت الحاضر و احد أهم العقبات التي تعيق إجراء استفتاء عام لتقرير المصير و التسوية الأمنية 1988 و بالتالي إفشال جهود التسوية.

الحكم: يسيطر المغرب على معظم مناطق الصحراء الغربية و يمارس الشؤون الإدارية و يعتبرها جزءا أو حقا تاريخيا له ، و لكن مع ظهور البوليزاريو و إعلان قيام الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية سنة 1982 برئاسة محمد عبد العزيز و اعتراف أكثر من 76 بلدا بها صارت تمارس بعض من سيادتها على بعض المناطق الجنوبية المحددة.

الاقتصاد:

إن ارض الصحراء الغربية و نظرا لافتقارها للماء و قسوة مناخها جعلت معظمها غير صالحة للزراعة ، من هنا كانت تربية الماشية و الاستفادة من تجارة القوافل بين أقطار المغرب العربي أهم مورد أساسي لدى سكانها قبل الاستعمار الاسباني ، و تتوفر الصحراء الغربية على موردين مهمين هما: الصخور الفوسفاتية الهائلة ذات الجودة العالية و كدا مصائد الأسماك الوفيرة قرب ساحلها المطل على المحيط الأطلسي و التي يستفيد منها الأساطيل الأجنبية خاصة الأسطول الاسباني ، فمن حيث الثروة الفوسفات فتعتبر الصحراء الغربية ثاني احتياطي في العالم ... من حيث الفوسفات بعد المغرب و يتشكل مع هدا الأخير ثلثي مخزون العالم من هامة المادة الأولية و هدا ما زاد مطامع المغرب فيها خاصة في مناجم بوكراع الإستراتيجية التي تبعد فقط 100كلم عن العاصمة العيون (جنوب شرقي) كذلك لا ننسى احتياطي مهم من المعادن أهمها الحديد ،الملح،حجر الكحل،النحاس،النيكل،البلاتين،المغنيزيوم،وكما أن هناك

عمليات للتنقيب عن النفط رغم عدم الكشف على كميات كبيرة منه[2]. (احتياطي الفوسفات في الصحراء الغربية 12 مليار طن.)

أسباب النزاع في الصحراء الغربية:

أسباب اقتصادية: التركيبة الاجتماعية و الاقتصادية الغير متساوية بين دول المنطقة حيث مثلا الجزائر و المغرب بلدين متجاورين متعادلين في السكان لكنها غير متساويين في الإقليم و المصالح و الثروات بحيث أن الجزائر دولة جدا وتتمتع بإمكانيات وثروات هائلة مما يجعل سكانها يتمتعون نسبيا بمستوى معيشة و أوضاع اقتصادية مريحة وجيدة عكس المغرب فهي دولة مساحتها ضئيلة جدا وتتميز بانعدام المصادر و الثروات على سطحها رغم توفر الفوسفات بكثرة ولكنه يوفر عائدات كبيرة نظر التنمية في الأسواق العالمية وكذلك موريتانيا هاته الدولة الفقيرة الموارد مما يجعل السيطرة على سطح الفريدة باعتبارها غنية بالموارد الطبيعية و الثروة السميكة إحدى الأسباب في السلوك النزاعي الدولي المنطقة لتدعيم قدراتها الاقتصادية وسد حاجيات سكانها وتوسعهم على هذا الإقليم [(3)]

طبيعة الأنظمة السياسية الحاكمة وتوجهاتها الإيديولوجية ودور النخب السياسية في توجيه السلوك الخارجية للدول المتنازعة حيث نلاحظ الاختلاط الموجود على مستوى الأنظمة السياسية فالمغرب تحكمه نظام سياسي ملكي محافظ دو توجهات رأسمالية المنظور الغربي في حيث ان النظام السياسي الجزائري اشتراكي ثوري تحرري مساند لكل حركات في العالم ومساندة للمعسكر الشرقي ويؤمن بعدم محدود الثورة وفكر تصديرها ومن النزاع نظر التعارض صارخ في طبيعة هده الأنظمة وإيديولوجياتها وخاصة نزعة الزعامة والقوة التي يؤمن بها كل نظام سياسي لفرض توجهات في المنطقة المغاربية وقيادتها دون أن النخب السياسية الحاكمة وشخصياتها الكاريزمية مثل النزعة الثورية الحادة لهوارى بومدين

أسباب سياسية وداخلية وتتمثل أساسا في إدارة الأنظمة السياسية كسب الشرعية والمشروعة لها وسط جماهيرية بفعل إدارة التنمية الشعبية وتوجيهات إلى قضايا خارجية مصيرية تكسب هده الأنظمة الشعبية الواسعة والموالاة والاتفاق الشعبي حول قيادته ومثال دلك الملك المغربي الحسن الثاني الذي كاد ينهار عرشه في عدة مرات بفعل الضغوطات الاجتماعية السياسية للشعب ،والتي برزت في مظاهرات شعبية حاشدة في الدار البيضاء 1965 محاولتي انقلاب عسكري على نظام 1971 و1972 ،وتصاعد الإضرابات العالمية وأكثر من 100 إضراب سنة 1975 وتصاعد المد والتيار اليساري والثوري ..الخ ،

---

[2] مسعود الخوند،(الموسوعة التاريخية الجغرافيا)، الجزء11،ط3،صفحة 188،189،2005

[3] دمدوم محمد رضا : محاضرات في مقياس تحليل النزاعات الدولية ، سنة رابعة علاقات دولية ، جامعة قسنطينة 2005/2004

كلها عوامل أدت النظام المغربي إلى افتعال القضية الصحراوية وحشد الرأي العام لها وإعلان المسيرة الخضراء واحتلال الصحراء سنة 1975 ،وكذلك الجزائر وعلى غرار الأنظمة الشمولية عموما فان القضايا الخارجية والأزمات هي مصدر هام لإكساب النظام السياسي القائم المزيد من الشعبية و المشروعة وهو ما زاد من تأثير و دعم "بومدين" المطلق للبوليساريو ودعمها على كل المستويات ونفس الشيء بالنسبة لنظام ولد ولدالدادة في موريتانيا الباحث عن المشروعة الشعبية .

أسباب تاريخية تتعلق أساس في المشروعية التاريخية للمغرب وخطاب الدولة "الحق التاريخي " الذي يرمي إلى توحيد كل الأقاليم المغربية التاريخية تحت لواء الملك من بينها إقليم الصحراء الغربية ،أما بالنسبة للجزائر فالتاريخ لاينسى حرب الرمال سنتي 1962و1963 وهجوم القوات المغربية وتوغلها في الحدود الغربية لإقليمها وتصدي الجيش الجزائري الفتي التكوين لها وهو ما خلق حالة اللااستقرار و التوتر الدائم بين الدولتين إلى يومنا هدا وهو ما أجج الصراع على الجبهة الصحراوية.

أسباب أمنية إستراتيجية: و تتمثل أساسا في إرادة الجزائر الضغط على المغرب للتخلي عن فكرة إقليم الصحراء الغربية و بالتالي تخليه عن آليا عن فكرة مغربية إقليم تيندوف الجزائري و كذلك ما يمثله إقليم الصحراء من عمق استراتيجي للجزائر و إمكانية فتح منفذ بحري لها على الأطلسي يوسع من مجال تحركها اقتصاديا و استراتيجيا أما المغرب فيرى في ضمه للصحراء الغربية فرصة سانحة لبناء قدراته و أحداث التوازن الاستراتيجي المختل لصالح الجزائر و بالتالي إمكانية مواجهتها إقليميا[4].

أسباب داخلية: تخص إقليم الصحراء الغربية ذاته و تتمثل في انعدام سلطة مركزية على إقليم الصحراء مهد الطريق لدخول قوى خارجية ابتداء باسبانيا ثم المغرب و موريتانيا و أخيرا المغرب الجزائر في دعمها لجبهة البوليزاريو

أطراف النزاع في الصحراء الغربية:

الأطراف المباشرة:

المغرب : الذي ورث عن الاستعمار حدودا يعتبر مجحفة وتآمرية على ارض المملكة التاريخية باقتطاع تندوف للجزائر وكل أراضي موريتانيا وحسبه لا يمكن أن يفرط في هذا الإقليم أيضا الذي يمكنه من امتلاك السيطرة على واحد من أكثر السواحل ثروة سميكة في العالم واحتلال الرتبة الأولى عالميا في إنتاج واحتياطي الفوسفات ، وثروات باطنية متنوعة كالغاز والنفط ، فضلا عن التموقع في منطقة جيو إستراتيجية لأمن أوربا مما يمنحه إمكانيات اكبر للمناورة وزعامة المنطقة .

---

4 مذكرة لنيل شهادة ليسانس في العلوم السياسية ، النزاع في الصحراء الغربية ، جامعة قسنطينة 2007

جبهة البوليزاريو : ترى بان الصحراء ليست أرضا بلا مالك كما كانت تزعم اسبانيا أيام الاحتلال، بل إن الصحراويين شعب له هويته الخاصة و إرادته التي يجب احترامها ،و الصحراويون الذين اخرجوا الاسبانيين بقوة السلاح قادرون على مواصلة الكفاح المسلح ضد أي طرف يحتل أرضهم أو أطراف تتقاسمها حتى التحرير و إقامة الدولة المستقلة رغم بعض الاتهامات لها بأنها أداة فقط في يد الجزائر في صراعها مع المغرب نظرا لإنشائها ورعايتها ودعمها المطلق و اللامحدود من طرف الجزائر في تحقيق أهدافها.

كما تغدي هذه التناقضات مصالح القوى الاستعمارية القديمة اسبانيا وفرنسا كأطراف ثانوية في النزاع وفق مبدأ الولاءات و المصالح والتحالفات ،دون أن ننسى صراعات الحرب الباردة ودخول الو . م . أ على الخط لدعم استقرار منطقة حساسة بالنسبة إليها وضرورة تسوية النزاع فيها[5].

الأطراف غير المباشرة:

الجزائر : ذات النظام الجمهوري والتوجه الثوري ترى في ضم إقليم الصحراء إلى المملكة ذات الأطماع التوسعية أصلا في الجزائر ذاتها ، والأسبق أن خاضت معها معارك " حرب الرمال " على السيادة في منطقة تندوف بعد استقلالها بعام واحد ، تشجيعا لهذه المطامع ودعما لموقعها الاستراتيجي على حساب الجزائر منافستها على زعامة المنطقة ولذلك ولعدم وجود أطماع ترابية في إقليم الصحراء فان خيارها الأفضل هو التشبث بمبدأ استقلال الصحراء

موريتانيا : التي أعلنت على لسان أول رئيس لها المطالبة الغربية سنة 1957 أي قبل أن تحصل على الاستقلال فإنها رأت في ضم نصيبها من الصحراء " وادي الذهب " RIO DE ORO تحقيقا لبعض مطالبها بتوحيد المجموعة البيظانية و إبعاد لخطر احتمال عودة المغرب إلى مطالبة القديمة بضمها وان كانت ستخسر صداقة الجزائر حليفها الأسبق الذي قدم لها الدعم الاقتصادي والسياسي .[6]

-يضاف إليها كل من فرنسا ،إسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

المواقف الدولية والعربية تجاه القضية الصحراوية:

الجزائر:تتهم الجزائر بأن موقفها منحاز لصالح الطرف الصحراوي ، حيث ساندت هذه القضية منذ بداياتها الأولى واعترفت بقيام الجمهورية الصحراوية برئاسة محمد عبد العزيز ، كما عملت على دعم هذا الشعب في حق تقرير مصيره وتنظيم استفتاء عام ماديا ومعنويا، وقد كان مبرر الجزائر في دعمها لهذه القضية بأن الجزائر دائما تدعم القضايا العادلة في العالم بغض النظر عن شكلها ولونها، على غرار دعمها للقضية الفلسطينية ،هذا من جهة ومن جهة ثانية شكلت هذا الموقف جراء الاستعمار الفرنسي وويلاته، مما يجعلها قضية من قضايا تصفية الإستعمار.

---

[5] فاطمة بنت عبد الوهاب: مقالة مواقف أطراف النزاع ـ موقع الجزيرة نت على الانترنت

[6] المرجع نفسه.

إسبانيا: التي تعتبر طرفا قديما في النزاع الصحراوي ، وهناك من يعتبرها العقل المدبر في التواجد المغربي بالصحراء الغربية ، حيث سلمت إسبانيا الصحراء الغربية للمملكة المغربية جراء تنازل هذه الأخيرة على جزيرتي سبتة ومليلية لصالح الطرف الإسباني.

فرنسا: التي تربطها علاقات قوية بالمملكة المغربية(مصالح سياسية واقتصادية) ، حيث تعتبر فرنسا الشريك التجاري والاقتصادي الأول للمغرب، كما تعتبر المغرب سوقا إستراتيجية بالنسبة للمنتجات الفرنسية.

الولايات المتحدة الأمريكية: نظرا أيضا للعلاقات التي تربط الولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة المغربية نجد أن أمريكا من مؤيدي الحكم الذاتي في المنطقة، وهي إشارة واضحة من الولايات المتحدة وموقفها الوسطي بين قرارات الأمم المتحدة المنادية بضرورة تصفية الاستعمار كليا، ومصالحها الاقتصادية والإستراتيجية في المنطقة.

الحلول المقترحة لحل القضية الصحراوية:

حل الحكم الذاتي : ويقصد به أن الطرف الصحراوي يسير شؤونه الداخلية والمحلية، أمنا الشؤون السياسية والاقتصادية والدبلوماسية فتكون تابعة فيها للمملكة المغربية، وهذا ما رفضه الطرف الصحراوي والجزائري معا.

حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره: ومن ثم إن صوت الشعب الصحراوي وبأغلبية ساحقة على الانفصال والاستقلال عن المملكة المغربية ، ستقام دولة صحراوية مستقلة كليا بحدودها الجغرافية والسياسية والاقتصادية.

حل انصهار الطرف الصحراوي في المملكة المغربية: وبالتالي تصبح الصحراء الغربية جزءا لا يتجزأ ورقعة جغرافية تابعة للمملكة المغربية، ويصبح اسمها الصحراء المغربية، هذا ويبقى السيناريو الأقرب للواقع هو بقاء الأوضاع على حالها في الآجال القريبة .

الخاتمة: تعتبر القضية الصحراوية من آخر قضايا تصفية الاستعمار في إطار هيئة الأمم المتحدة، كما تعتبر حجرة عثرة كبيرة في وجه تكتل إقليمي في غاية من الأهمية ، فمسار الاتحاد المغاربي متوقف منذ سنوات كبيرة جراء التجاذبات السياسية لأطرافه الناجم أساسا على مواقفهم تجاه حل القضية الصحراوية وبالتالي صارت القضية الشغل الشاغل لمعظم المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية المعنية بالنزاع في الصحراء الغربية بالتعاون مع القوى الكبرى الباحثة لتسوية وحل عادل لهذا الصراع المزمن، هذا وتبقى الإرادة الصادقة والبناءة في تجاوز الخلافات وتقريب وجهات النظر لدول المنطقة وبالتالي الوصول إلى حل نهائي وعادل ودائم للنزاع المزمن في الصحراء الغربية يرعى مصالح كل الأطراف ويحترم إرادة وسيادة الشعب الصحراوي مهما كانت طبيعة توجهاته.